واستقبل العبلة فيه عارض ۝ معترض في جوه واهي الكلا
فيملا الرجا من الزوح الذي ۝ راح عليه الحسن فيما وغدا
الى الرفيع المعتلي من ضعة ۝ والهيكل الأعلى الغريب المبتنى

يقال ضحيت الشمس وضحيت بفتح الحاء وكسرها ضحاء بالمد اذا برزت والمستقبل أضحى في اللغتين وفي الحديث ان ابن عمر رضي الله عنهما رأى رجلا محرما قد استظل فقال اضح لمن احرمت له رواه المحدثون بفتح الهمزة وكسر الحاء من أضحيت وقال الاصمعي انما هو اضح لمن احرمت له بكسر الالف وفتح الحاء من ضحيت أضحى لانه انما امره بالبروز للشمس ومنه قوله تعالى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى واستعار للصبا افراسا ورواحل في ذلك زهير في قوله ۝ صحا القلب عن سلمى واقصر باطله ۝ وعري افراس الصبا ورواحله
قال بعض من تكلم على بيت زهير لما كان المعتاد ان يقال في تصابي ركب هواه وجرى في ميدانه وجمح في عنانه حسن ان يستعار للصبا اسم الافراس وان يعبر عن النزوع عنه بان يعري افراسه ورواحله وانما اورد هذا الكلام هنا لان الاستعارة نقل العبارة عما وضع له في أصل اللغة الى ما ليس كذلك لشبه جامع بين المنقول والمنقول اليه ولا يستحسن منها الا ما كان الجامع بين المستعار والمستعار منه واضحا كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا الا ترى ان شمول الشيب للرأس وفشوه فيه شيئا فشيئا واحالته عن لونه الاول الى البياض بمنزلة النار التي تشتعل في الحطب اذا علقنا به وتسري فيه حتى تحيله الى غير حاله الاول وكذلك قول الشاعر
و جعلت كوري فوق ناجية ۝ يقتات شحم سنامها الرحل ۝
لما كان الشحم يفتات وكان الرحل هو الذي ينحوه ويذهبه شيئا فشيئا كان ذلك بمنزلة الا فنيات وحسنت الاستعارة لقرب الشبه الجامع فاذا انتفى هذا فلا شك ان الاستعارة بعيدة من الصبا الجامع من الشبه بينهما وبينه الا ترى انك لا تفهم الاستعارة مبنية على وصف كثير في المستعار له حتى صار كالاصل فيه وان لم يكن الا على ما كثر وصف المتصابي بركوب الهوى والجري في الميدان والجموح في العنان حسنها بينهما كان ذلك مما قرب الاستعارة وان كان الجامع في الاصل بعيدا فتأمل ذلك فانه حسن والمنار وجميع ما ذكر معه في البيت مواضع بعرفة ومنى والحبال القطار المتتابع المطر وعين توبة موضع هناك وقوله بمثل عيني توبة اراد توبة بن الحمير وهو قيس من كرة والتعريض به مشتهر
فلت وقول الناظم ووالى السحب بعيني توبة البيت جعل لهذا الموضع ان تبكي فيه السحب بمثل عيني توبة بريد في مواظبة البكاء وانها لا تفتر ولو اراد الكثرة لغرض

٩٩
أحسن المعنى لان جميع ما بكى توبة في عمره لو جمعت فيه دموعه لم يكن في جانب قطر السحاب شيئا مذكورا نعم يجيء ذلك عند قصد المبالغة في وصف المشبه به وليس هذا له بموضع الا ترى ان قول الشاعر ۝ وبرا الصباح كأن غرته ۝ وجه الخليفة حين يمتدح ۝
جعل فيه تشبيه الصباح بالوجه الواضح البشر مع ان المشبه به ينبغي ان يكون له شعور على المشبه لان قصد الشاعر المبالغة في وصف الممدوح وان يجعل نور وجهه اعظم من نور الصباح بحسن الكلام وظهرت براعته ولولا ذلك لم يكن له وجه فتأمل ما قلناه فانه حسن ومما يسوغ قول الناظم انه لما استعار البكاء للسحب مقصر بها في جنس الباكين وقد علم ان توبة وعروة من اعظم المحبين بكاء وان لهما الشهرة فيه حتى ضرب بهما الامثال حسن ان يقع تشبيه بكاء السحب بهما ويكون المراد انها تبكي البكاء الذي هو غاية كما عرف من بكاء هذين المحبين فتأمله ومثله قول الشاعر
رب ليل امد من نفس العا ۝ شق طولا قطعته بانتحاب ۝
فانما ساغ تشبيه الليل في الطول بنفس العاشق لان كل واحد منهما خرج في طوله عن المعتاد من مثله فالتشبيه في الحقيقة انما وقع في ان لكل واحد منهما حالا غريبة وبيت الناظم يجري هذا المجرى وقد قال بعضهم ان التشبيه يقع مرة بالصورة ومرة بالصفة ومرة بالحالة والهيئة وهذا الموضع على هذا المأخذ مما وقع التشبيه فيه بالحالة والهيئة على ان البيت الذي انشدته انفا وهو قوله رب ليل امد من نفس العاشق من حمل على قصد المبالغة ويكون قصد القائل فائدة ان يجعل طول نفس العاشق امد من الطويل من الليالي كما قررت قبل في قول الشاعر وبرا الصباح كأن غرته لا ترى انه يشتكي فيه ما يقاسي من الغرام فاخرج فيه وصف النفس بالامتداد والمبالغة فيه فتأمله والمساجلة المفاخرة بان تصنع مثل صنيع صاحبه في جري او سقي واصله من السجل وهو الدلو وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن ابي لهب
من يساجلني يساجل ماجدا ۝ يملأ الدلو الى عقد الكرب ۝
ومنه قولهم الحرب سجال والعزالي جمع عزلاء وهو فم المزادة الاسفل وان شئت فتحت اللام وقلت عزالى مثل الصحاري والصحارى والعذاري والعذارى قال الكميت
مرته الصبا بالغور غور تهامة ۝ فلما ونت عنه بشعفين امرعا
مرته السحاب بلما الكفهر ۝ حلت عزاليه الشمأل ۝
والمعري جمع عروة وهي من الدلو والكوز ونحوهما مقبضه يقال حل الغمام عزاليه وهو عبارة عن كثرة المطر تشبيها له بالدلو اذا انحلت عراها وانصب ماؤها قال مهيار
لا غرالها الغيث يا دار البوصال كل منحل العرا واهي العزالي
۝ في كل عرة ومن حوام وخم ۝

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)